

الأستاذة : سميرة بارودي .

التخصص السنة الثانية –دراسات نقدية-

المحاضرة: الفلسفة المادية – الواقعية والواقعية الاشتراكية-

المادية الجدلية:

هي ركن أساسي من أركان الفلسفة الماركسية، تعتمد على قوانين الديالكتيك وبنائها كارل ماركس بالاستناد إلى جدلية فلسفة "هيجل" ومادية الفلسفة فيورباخ وكتب عنها ستالين أساس الفلسفة الجدلية هو أنها تعتبر أن الفكر هو نتاج المادة وأن المادة ليست نتاج الفكر، الإنسان نتاج مادي من عقله وليس الإنسان من نتاج الفكر، وهو ما ينفيه الفلاسفة المثاليون .

الفرق بين الماديون والمثاليون :

المثاليون	الماديون
1-الأولوية للفكر والروح 2-أن المادة ليست موجودة بل هي انعكاس الإنسان لوعيه . 3-أن حواس الإنسان تعكس تصورات في وعيه وهي غير موجودة في الواقع بشكل مستقل عن الوعي .	1-أولوية للمادة 2-يعتمدون على الأبحاث العلمية التي تنقي زوال المادة. 3-المادة موجودة بشكل مستقل عن وعي الإنسان (كل ما تحسه حواس الإنسان الخمسة)

إن الفلسفة تفسر الوجود انطلاقاً من علة خارجية، أما الوجود المادي هو انعكاس لوعي أكبر وبالتالي الوجود المادي مغاير للوجود الروحي، إن هذا المفهوم يعتبر أن الوجود المادي ساكن ومخلوق من قبل الفكر أو الوعي .

إن الفلسفة المادية تعارض هذا التصور وتشدّد على أهمية الوجود المادي في إعلاء وتوليد الفكر والوعي، إن الوعي هو انعكاس للمادة وليس العكس .

الواقعية : ما هي بالضبط؟ وما علاقتها بالواقع؟ وما علاقتها بالفن؟

إن مصطلح " الواقعية" من المصطلحات المطاطية والفضفاضة التي تختلف مفاهيمها باختلاف ميادين النشاط الإنساني من جهة، باختلاف اتجاهات النقاد والأدباء ومنظري الأدب من جهة أخرى، ففي الفلسفة نجد الظاهرتين يعتبرون هذا المصطلح مجرد اسم مثل سائر الأسماء أما المثاليين يعدونه دالاً على واقعية الأفكار المجردة ووجودها بالفعل .

وفي السياسة يعني مصطلح " الواقعية" القبول بالأمر الواقع والاعتراف بالأوضاع السائدة، فالواقعية هنا مرادفة للسلبية والاستسلام وقد يعدها بعضهم مرادفة للرؤية الموضوعية الايجابية كما فعل الدكتور محمد النويهي .

يرى بعضهم أن الواقعية هي تلك التي لا تهتم إلا بمشكلات المجتمع و حياة الشعب بينما يرى آخرون أن الواقعية تتسع لكل الآثار الأدبية تقريبا كما يذهب " روجي جارودي" في كتابه " واقعية بلا ضفاف أو أرنولد كتيل في كتابه " مدخل إلى الرواية الانجليزية" .

أما في الأدب فإن هذا المصطلح يقصد به أحيانا ملاحظة الواقع وتسجيل تفاصيله وتصويره تصويرا فوتوغرافيا حرفيا، وإبعاد عناصر الخيال المجتمع ويقصد به أحيانا أخرى الحيادية أو الموضوعية الصارمة التي تمنع تسرب أفكار الكاتب وعواطفه ومزاجه الذاتي إلى أعماله الأدبية .

يرى الدكتور محمد مندور أن مصطلح " الواقعية" أن هناك اضطراب كبيرا في مفهوم هذا المصطلح ليس عند العرب فقط بل حتى عند الغربيين فلا شك مفهوم هذا المصطلح في نظر " إيميل زولا" و"فلوبير" يختلف عن جوركي" و"جورج لوكاتش" .

يمكن القول بأن بذور المذهب الواقعي قديما جداً، نلاحظ في طبائع البشر الذين ينقسمون إلى مثاليين وواقعيين بطبيعتهم، فالمثاليون لا يحبون الانغماس في الواقع ويميلون إلى التحليق بخيالهم في عوالم أسطورية أو يؤثرون الانسياق وراء الأماني الوهمية التي قد تصبح في نظرهم حقيقة ملموسة، أما الواقعيون فإنهم يمتازون بالحذر وشدة الانتباه إلى الحياة المحيطة بهم ورؤيتها مجردة كما هي في الواقع من غير تزيف .

ظهرت عند الإغريق من أمثال " هوميروس" نجد ملامح الواقعية في " الالليادة" و" الأوديسة" إن هوميروس يقدم لنا المآسي التي يتعرض "أوديسيوس" وبجانب الأحداث العادية ، ومن أدباء الإغريق الذين نجد في أشعارهم الدرامية عناصر الواقعية أكثر وضوحا -على سبيل الحصر- نذكر يوريبديدس الذي قدم تحليله للشخصيات وخاصة منها شخصية المرأة، وجاءت لغته مستوحاة من اللغة اليومية العادية، أما الحب فكان محور مسرحياته ، وبالنسبة لقضاياها فهي إنسانية محضة بعيدة عن الميتافيزيقيا وفي الأدب الروماني تبدو ملامح الواقعية واضحة عند الكاتب الكوميدي " بلوتش" ل" جرة الذهب" انتقلت الواقعية من فن المسرح غلى الفن القصصي في العصور لم يكن يأخذون موضوعاتها من الواقع بل من

القصص الديني مثل "الكوميديا الإلهية" لكاتبها "دانتي" الايطالي التي تتحدث عن الثواب والعقاب وسائر المعتقدات مع استخدام النقد المر لبعض مظاهر المجتمع .

أما في القرن 19 كان التراجيديا الكلاسيكية غارقة في محاكاتها للآداب اليونانية والرومانية التي وضعها أرسطو لهذا الفن (وحدة الموضوع، الزمان والمكان)، أما الكوميديا على عكس من ذلك وعلى سبيل من ذلك "موليير" (البخيل)، وحتى شكسبير الذي عاش عصر النهضة نجده في " هملت يقترب من الواقع .

عوامل نشأة الواقعية نحصرها فيما يلي:

-تطور النزعة النقدية في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية، وإزدهار الفلسفة الوضعية والمادية ثم الوجودية وكل هذا يعدّ رداً على الفلسفة المثالية(كانت ، فخته، هيغل) .

يمثل النزعة الاجتماعية" سان سيمون" الذي تدور آراؤه حول صلات الإنسان بالآخرين ثم بالطبيعة والعالم المحيط به .

- أما الفلسفة المادية فقد كان لها أثر كبير في انتشار الواقعية التي أسسها كل من ماركس، وأنفلز، ولينين التي تقوم على الاعتقاد بأن هناك بنية دنيا وبنية عليا في الحياة الاجتماعية، البنية الدنيا أو التحتية هي المادة بكل مظاهرها الاقتصادية والإنتاجية، أما البنية العليا أو الفوقية فهي كل ما يمثل الفكر والثقافة والتاريخ والقانون والنظم السياسة والفنون .

-تعد البنية الدنيا في الفلسفة المادية القاعدة الواقعية التي تقوم على أساسها البنية العليا وتتأثر بها، وتشكل وفقا لقوانينها وعلى سبيل المثال فإن الفلاسفة الماديين يقبلون الأخلاق على أساس معيار مادي، وما دام الفكر غير مستقل عن البنية الدنيا فإن الأخلاق تفسر بالظروف الاقتصادية والإنتاجية التي يعيش في ظلها المجتمع(لا وجود للأخلاق، التاريخ) ومن هنا نلاحظ أن الماديين يقبلون جدلية (هيغل) رأسا على عقب في رأيه في القيم والأفكار التي تسبق المادة بمفهومها الطبيعي والاقتصادي .

-تتضارب المصالح المادية (الاقتصادية والاجتماعية)بما يسمى بالفلسفة الماركسية(صراع الطبقات) وفي رأي الماديين سيطرت أي طبقة من الطبقات يعني سيطرة ميادينها ومذاهبها وهذا سيأثر في الفن والأدب، يسلم ماركس أن البنية العليا يكون نتيجة البنية الدنيا و تستطيع أن تكون هذه الأخيرة مركزة قوة في الحياة والمجتمع .

الواقعية الاشتراكية : وقد نشأت الواقعية الاشتراكية في فن الأدب قبل غيره من الفنون الأخرى كالرسم والنحت والموسيقى والسينما وراجع إلى العلاقة الوثيقة بين الأدب والفكر والفلسفة .

-الواقعية الاشتراكية نشأت بشكل طبيعي وهي امتداد للأدب الروسي القديم، و نجد " جورج لوكاتش" يحاول جاهدا أن يربط بين " تولستوي" (الواقعية النقدية) وبين " غوركي" مؤسس الواقعية الاشتراكية في كثير من الأحيان والتي تعد كتاباتهم " نتيجة بيروقراطي، فرض بشكل ميكانيكي على عملية الإبداع كجسم غريب عليها"

الواقعية الاشتراكية لم تولد في مقالات المنظرين وإنما في اللوحات والتمائيل والقصائد والكتابات والأفلام التي أنتجها الفن الثوري الجديد ولا ننكر أن الحزب الشيوعي والسياسيين هم الذين فرضوا قواعد معينة على الكتاب .

أهم خصائص الأدب الواقعية الاشتراكية :

1-النزعة التعليمية وهي النزعة التي نجدها واضحة في كل إنتاج الواقعيين الاشتراكيين تقريبا بما فيهم ماكسيم غوركي، بريخت هم عمالقة الأدب الاشتراكي وحين تقرأ رواية " الأم" لغوركي وهي الرواية النموذجية للواقعية الاشتراكية التي أعجب بها " لينين" ونجد أن جميع شخصيات هذه الرواية تنكب على نشر تعاليم الاشتراكية وتلقينها للفلاحين والعمال والجنود.

رواية " الأم" ذات الشخصية الرئيسية " بيلاجيا نيلوفيا" تنكب عاطفة الأمومة على توعية العمال، أما " يافل" و" ساشا" اللذان يضحيان بحبهما من أجل نشر تعاليم الاشتراكية من خلال الاجتماعات السرية وتحريضهم على الثورة، " ساشا" تهجر أباه الملاك للأراضي ويصبح عدوا لها، و" ناتاشا" التي يطردها أبوها الغني بسبب نشاطها، إن شخصيات " غوركي" لا تتحدث بلسان ذاتي وإنما تتحدث بلسان غوركي .

ونجد" بريخت" الذي يميل إلى النزعة التعليمية في مسرحياته وذات الطابع ملحمي البسيط والتناوب بين الجمهور والممثلين ، والديكور المتواضع ، ويمكن القول أن الواقعيين الاشتراكيين لم يستطيع أن يعطونا نماذج بشرية تضاهي تلك نجدها عند الواقعيين من أمثال: دوستويفسكي، بلزاك، تولستوي .

2-إن الشخصيات عند الواقعيين الاشتراكيين غالبا ما تكون إما شريرة أو خيرة، وهذا ناتج عن النظرة المثالية المطلقة التي تدفع إلى إبراز جانب من جوانب الشخصيات

3- من خصائص الواقعية الاشتراكية أنهم يركزون في رسم شخصية واحدة وهي الشخصية الرئيسة وبقية الشخصيات ثانوية ويقتصر دورها في إلقاء الضوء على الشخصية الرئيسة ، وهذه البطولة الجماعية نجدها عند " تولستوي" وخاصة في رواية " الحرب والسلام" ناتجا عن رفضهم لما يسمونه " بالأدب البورجوازي" وعن إيمانهم بالأيديولوجية الماركسية التي تصب اهتمامها على الجماعة وليس على الفرد .

يقول " جورج لوكاش" إخفاق الواقعيين الاشتراكيين في تقديم نماذج بشرية خالدة " بالمنظور" ويفسر ذلك أن الأدباء غير الاشتراكيين ليس لهم منظور جماعي محدد إلى عصرهم ولكن هذا المنظور بكل بساطة لا يمكن عدّه واقعا حيا ما دامت الأفكار الشيوعية التي تستمد قوته غير معيشة في الحياة ويرى بعض النقاد أن الواقعيين لديهم زمنين وهما (الماضي والحاضر) وهناك واقع ثالث (المستقبل)

4-التفاوت وهنا نجد اختلاف كبير بين الواقعيين الاشتراكيين والنقديين والطبيين، فإن الكتاب الواقعيين الاشتراكيين يرفضون التصوير الفوتوغرافي التوثيقي الموجود عند الطبيعيين.

التفاوت الموجود عند الواقعيين الاشتراكيين هو إيمانهم بالفلسفة الماركسية التي غيرت نظرهم إلى التاريخ، ويرفضون أدل اللامعقول أو أدب الضياع(تشاؤمي).

الواقعية الاشتراكية في الآداب السردية والأوروبية كانت تعبيراً صادقاً عن الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي عرفت أوروبا في العصر الحديث .

الواقعية النقدية	الواقعية الطبيعية	الواقعية الاشتراكية
-النزعة التشاؤمية (النقمة على الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية)	-الغلو في النزعة التشاؤمية(ترابط المشكلات التي نورق الإنسان بطبيعة تكوينه الفزيولوجي) وتلغي حرية الإنسان.	-رؤية التفاولية مستمدة من التصور الإيديولوجي المادي
-هجائية ناقمة على الأوضاع الاجتماعية	-تأثرهم بالنظريات العلوم البيولوجية .	- مرتبطة بالتيار الإيديولوجي
-رسم النماذج البشرية =رؤية جمالية تلقائية ، عفوية .		

